النظام الدولي الجديد أو العولمة ، الأبعاد والانعكاسات

أ/ محمد مكحلي

مقدمة

اعتاد الناس في زمننا على تلقف بعض المصطلحات[1] التي سرعان ما تتحول إلى شعارات أو موضة للكلمات حيث تجدهم يتفوهون بها دون الوقوف ولو للحظة عند معانيها و أصولها بالنسبة "**للنظام العالمي الجديد**" أو "**العولمة**".

إن الشعارات و المصطلحات لا تطرح جزافا فكل مصطلح جديد إلى الأرضية النظرية للقوة التي طرحته وعليه فدراسة هذه الشعارات والاصطلاحات يهدف للتعبير و الكشف عن طبيعة أهداف واضعيه .

إن النظام حسب د:"**رسلان شرف الدين**" يعني تلك المجموعة من الظوابط والقواعد و المؤسسات الموجهة تبعا للغايات الإقتصادية و السياسية و الإجتماعية لذلك النظام بل لرأسه المهيمن.

كل المؤشرات تؤكد أن التحديات التي سيوجهها العالم هي تحدية العولمة التي تعني النظام العالمي الجديد التي تعمل الدول المتقدمة على فرضه والذي إرتكز و لا يزال على القوة الإقتصادية و العسكرية من جهة و على المعلوماتية و تكنولوجيا الإتصال التي جعلت العالم قرية صغيرة من جهة أخرى [2] .

منذ بداية عقد التسعينات من القرن الماضي والحديث يجري على نطاق واسع في كل أنحاء العالم وعلى المستويات جميعها وربما بين كل الفئات عن العولمة[3] وبرزت خلال الآونة الأخيرة تساؤلات مشروعة عن طبيعة العولمة وعن حقائقها و أوهامها و عن فرصها

. معارف بالإسكندرية 1960.

ومخاطرها وعن كيفية التعامل مع إفرازاتها ومترتباتها دون الرجوع إلى ظاهرة العولمة إلى الإطار المرجعي لكل الدراسات الإجتماعية و الإنسانية [4].

لقد شهد العالم منذ عقدين من الزمن حدوث طفرة رهيبة حولت الإقتصاديات الوطنية المنعزلة و المنكفئة على نفسها داخل حدود أوطانها إلى إقتصاد عالمي ذابت فيه الحدود والحواجز التشريعية و الجمركية وتحررت فيه الأسواق من كل قيد وتنقلت فيه رؤوس الأموال بسرعة الضوء من دولة إلى أخرى وتفككت فيه البنى التقليدية للإقتصاد والمجتمع و الدولة [5].

أتى هذا إلى ظهور إستراتيجيات جديدة تناسب نظاما عالميا جديدا يطفى عليه التنافس الحاد والسباق المحموم نحو الحصول على أكبر الأرباح و المنافع في أي مكان[6]..

- **مراحل الانتقال:**

إن النظام الدولي القديم كان يستند إلى القطبية الثنائية و قد شكلت مناطق العالم الثالث في ظل الحرب الباردة ساحات للتنافس و المواجهة بين القطبين و لكن التحولات التي شهدها الاتحاد السوفياتي و بقية بلدان أوروبا الشرقية منذ منتصف الثمانينات انتهت بتفككه كقوة عظمى و انهيار الأحزاب الشيوعية في تلك الدول و قيامها بتبني التعددية السياسية وإشكال من الديمقراطية الليبرالية و الاقتصاد الحر على الصعيد الداخلي واتجاهها نحو الإنفتاح على المعسكر الغربي و الانخراط في الإقتصاد العالمي على الصعيد الخارجي[7].

هذه التحولات وضعت النهاية للنظام الدولي القديم وأسهمت ضمن عوامل ومتغيرات أخرى في وضع الأساس لبروز نظام عالمي جديد و ذهب البعض إلى القول أن العالم أصبح يعيش في ظل قوة عظمى واحدة هي الولايات المتحدة الأمريكية و سواء كان هذا الحكم مستندا إلى قراءة خارطة القوة العسكرية براهينتها عالميا بفعل هول الصدمة الذي نتج عن إعلان "**غورباتشوف**" عن "البير يسترويكا" التي أزاحت الشيوعية و ذهب الكثير يستعيد ما روجه مستشار الأمن السابق الأمريكي "**زيغنيو بريجنسكي**" في توقعاته نهاية العام

1988 من أن عالم الغد ذو قطب واحد فيه دولة عظمى واحدة تتمتع بالقوة الإقتصادية والعسكرية معا هي الولايات المتحدة الأمريكية[8].

أما خارج الولايات المتحدة الأمريكية فكان المفكرون أقل حذرا و هذا نستنتجه من تصرحاتهم و تعليقاتهم يرى العالم اللغوي " **نعوم تشوفسكي**" أن النظام الجديد المقصود يقوم على أساس سيطرة ثلاثة قوى على الإقتصاد العالمي و سيطرة قوة أحادية في المجال العسكري على العالم تم يعلق إن اخضاع الولايات المتحدة للدول الضعيفة لنفودها العسكري والسياسي و المجزرة التي تعرض لها بلد تجاسر على القيام بعمل مستقل عن ملكوت ذاك النفوذ و خدمات المرتزقة البريطانيين و الأمريكيين في المستقبل، وهي المعالم القادمة للنظام العالمي الجديد[9] أما النائب البريطاني في حزب العمال " **دينيس هيلي**" فقد حدد حقيقة النظام المقصود حين كتب " **إن الرئيس بوش**[10] " حين أعلن أن العقوبات التي فرضتها الأمم المتحدة على العراق يمكن أن ترسي نظام عالمي جديد علق الملايين الآمال على ذلك غير أن الحرب بينت أن النظام الجديد يولد في رحم لأن النيات الأمريكية كانت منذ بداية الأزمة تميل إلى استخدام القوة[11] " أما وزير خارجية الإتحاد السوفياتي الأسبق " **إدرواد شفرنادزة**" فحذر من الإفراط في استخدام المصطلح و إشاعة الأمال وقال أنه ينتمي إلى دولة فشلت في تحقيق طموحها الرامي إلى خلق إنسان جديد "و أضاف أن العالم جهاز عضوي حي ذو نزعات يمكن أن تخلط بفوضى بين عناصر نظام جديد للأشياء[12].

و قد أفرز هذا التحول في هيكل النظام الدولي تطورات عدة من منظور عملية العولمة.

1- تمدد دور الولايات المتحدة الأمريكية على الصعيد العالمي، مما جعل البعض يضع للعولمة مرادفا و هو الأمركة[13].

2- حدوث موجة ذات طابع عالمي من التحول الديمقراطي و الإتجاه نحو إقتصاد السوق[14].

3- ثورة في المعلومات و الإتصا لات

1- حرب الخليج الثانية:

مثلث حرب الخليج الثانية عام 1991 أحد التغيرات الدولية التي ستبقى نتائجها والأخطار التي نجمت عنها من موضوعات الباحثين و المهتمين، و قد أكدت " مختلف الأبحاث و الدراسات الموضوعية أن نتائجها كانت و ستبقى مكلفة بالنسبة للعرب على الأصعدة المالية و التكنولوجية[15]".

في الساعات الأولى من يوم 02 أوت 1990 قام مائة ألف "100"جندي عراقي مدعمين بحوالي ثلاثة مائة "300" دبابة باجتياح الكويت. كنا الجيش الكويتي وقتها لا يتعدى "1600" ألف و ستمائة رجل فقط[16] و في ساعات قليلة احتل الجيش العراقي كامل تراب الإمارة و قد حاول الكويتيون تنظيم المقاومة الشعبية لكن إختلال موازين القوى كان واضحا، كان هناك إجماع عربي و دولي على شجب عزو العراق للكويت وبدأت قرارات مجلس الأمن تصدر منتالية[17] .

دام الإحتلال العراقي للكويت ما يقرب سبعة أشهر[18] في الوقت الذي كانت الأمم المتحدة تصدر القرارت كانت قوات التحالف الدولي تتأهب لمعركة تحرير الكويت[19]

أتاح غزو العراق للكويت[20] فرصة ذهبية للويلايات المتحدة للتجربة القدرات السياسية و العسكرية و الديبلوماسية للأحادية القطبية[21] ففي خلال ستة أشهر من سنة 1991 تحولت المنطقة كلها إلى مخبر مفتوح لإعادة صياغة التحالفات و تجربة الأسلحة واستخلاص الجزية من المتحاربين و السيطرة الكاملة على خزانات النفط و عودة الإمبرالية بأساطيلها و قواعدها[22].

و في سياق الممارسات نفسها يشير "**مايكل كلار**" أستاذ العلاقات الدولية في معهد " هميشايو" جامعة ماساتوسوتي"[23] إلى تزايد الإهتمام بتعيين العدو الجديد من بين بلدان العالم الثالث بعد سقوط جدار برلين 1989 [24].

عرفت تلك الإستراتجية تحويرا كبيرا سنة 1993 باقتراح من مستشار الأمن القومي للرئيس "**كلينتون**" الذي دعا إلى إعادة نظر جذرية تقوم فرضتين أولاهما مواجهة صراعين جهويين كبيرين في نفس الوقت في شبه الجزيرة الكورية، و الشرق الأوسط أما الفرضية الثانية المصممة للمدى الطويل"نصف القرن القادم" فتقوم على منع ظهور منافسين مساوين للولايات المتحدة في تعبير التقرير الخاص الذي نشره المعهد القومي للدراسات الأمنية سنة 1997 و تبنته وكالة الإستخبارات الخاصة بالدفاع الوطني [25].

2-واقعة "11 سبتمبر 2001" يوم القيامة الأمريكي:

تعتبر واقعة "11 سبتمبر 2001" التي نزلت على رموز القوة المالية و العسكرية في الولايات المتحدة الأمريكية بمثابة إعلان "**حرب الحضارات**" التي ما انفك دعاة النظام الدولي الجديد يتوقعونها ويحرضون عليها مع اختزال "**الحضارات**" في الإسلام دون سواه[26] حيث منذ سقوط المعسكر الشيوعي ظهر ميل واضح في أمريكا و أوربا إلى ترشيح الإسلام و المسلمين ليكونوا " **العدو الوهمي**" البديل في مطلع الألفية الثالثة لقد شكلت تفجيرات "**نيويورك**" و "**واشنطن**" فرصة[27] للولايات المتحدة الأمريكية لفرض منطقها على العالم وبسط هيمنتها السياسية و العسكرية على الدول قاطبة و لتبرير خطتها لأمركة العالم" من خلال خطوات مستقبلية لقد كشفت الولايات المتحدة و الغرب كافة عن نيتها الحقيقة عندما قال" **بوش الإبن**"دون أن يراقب نفسه إنها " **الحرب الصليبية**"[28].

إن إعتداءات "11 سبتمبر 2001" تعتبر ضربة قاسية للولايات المتحدة معنويا ونفسيا بل سياسيا و اقتصاديا و عليه فالأهداف التي ضربتها الطائرات المختطفة تحمل في طياتها دلالات و إيحاءات كثيرة فالمستهدف كان رموز المال و السياسة و الأمن " **مركز التجارة العالمي و البنتاغون**" في "**نيويورك**" و "**واشنطن**" إن الولايات المتحدة هي القطب الواحد في عالم اليوم[29] و هي تتزعم هذا العالم إقتصاديا و ماليا و تكنولوجيا و استراتجيا وأمنيا و هذه العولمة تجعل مركز العالم ماليا "**نيويورك**" و"**سياسيا**" و" **واشنطن**" وعسكريا

واستراتجيا "**البنتاغون**" و عندما تتعرض هذه المراكز لمثل هذه الأعمال فإن في ذلك ما يوحي أن ذلك أحد انعكاسات هذه العولمة و هذه الأحادية القطبية[30].

الإحالات

1- رسلان شرف الدين: أطروحة " الشرق الأوسط الجديد" و مشروع " النظام العالمي الجديد" مجلة دراسات عربية العدد 12/11/ السنة الثالثة و الثلاثون سبتمبر أكتوبر 1997 ص2.

1- محمد مكحلي: المدرسة الوطنية و ارصاصات العولمة: الملتقى الولائي للإتحاد الوطني لعمال التربية و التكوين اكمالية الجيلالي اليابس مارس 2001 راجع جريدة اليوم ارهاصات العولمة حاجي فريد 12 أكتوبر 2000 العدد 517 ص11.

2- راجع عبد الخالق عبد الله: العولمة جدورها و فروعها و كيفية التعامل معها عالم الفكر المجلد الثامن و العشرون العدد الثاني أكتوبر/ديسمبر 1999 ص29.

3- المرجع السابق ص29.

4- راجع وهيبة جموعي: العولمة الإقتصادية الفاعلون و التابعون جريدة اليوم 27 سبتمبر 2000 العدد 501 ص21 الحلقة الأولى.

5- المرجع السابق ص21.

6- حسين توفيق ابرهيم: العولمة الأبعاد والإنعاكاسات السياسية،رؤية أولية من منظور علم السياسة عالم الفكر المجلد الثامن والعشرون العدد الثاني 1999ص190

7- عبد الرزاق رزيق المخادمي: النظام الدولي الجديد، الثابت و المتغير، ديوان المطبوعات الجامعية 1999 ص9

8- عبد القادر رزيق المخادمي، المرجع السابق ص10

10-جورج بوش الأب

11- المرجع نفسه ص[10]

12- نفسه

13- حسين توفيق ابرهيم: العولمة الأبعادو الانعكاسات السياسية ص.ص190-191 لمزيد من التفاصيل راجع مسعود طاهر: صدام الحضارات كمقولة ايديولوجية لعصر العولمة الأمريكية جريدة الإتحاد الإماراتية 21 أفريل 1997.13

14- يشمل هذا التحول العديد من بلدان أمريكا اللاتينية و افريقيا و أسيا و وسط أوربا و شرقها خلال الفترة من 1974 إلى 1994 تحول شؤون دولة من أنظمة شمولية إلى أنظمة ديمقرايطة، راجع حسين توفيق ابراهيم ص[191].

15- سمير صارم: أوربا و العرب من الحوار إلى الشراكة دار الفكر المعاصر بيروت دار الفكر دمشق الطبعة الأولى السنة 2000 ص ص53 ،54.

16- عبد المؤمن التومي: جريدة الشروق اليومي 4أوت 2001 العدد 226ص9

17- أول قرار صدر أتى في اليوم الموالي و هو فرض عقوبات اقتصادية و عسكرية على العراق و في 6 أوت 1990 أدان مجلس الأمن ضم العراق للكويت.

18- تدعى درع الصحراء

19- 1990/08/02

20- محمد العربي ولد خليفة:النظام العالمي الجديد من النظرية إلى آليات التطبيق ص8 عالم السياسي 24 أكتوبر 1998.

21- لقد أشرف الجنرال "كولين باول" رئيس هيئة أركان الجيوش الأمريكية في ذلك الوقت على تعيين لجنة في البنتاغون تتكون من مخططين سياسين و خبراء في الشؤون الإستراتجية توصلت اللجنة إلى وضع الخطوط العريضة لما يسمى استراتجية الدفاع الجهوي.

22- نفسه

23-نفسه

24-محمد عباس: واقعة 11 سبتمبر و القراءة المزعجة، جريدة الشروق اليومي 20 سبتمبر 2001 العدد 267 ص11.

25- نفس المرجع و نفس الصفحة

26- نصر الدين قاسم: أمركة العالم، جريدة صوت الأحرار 22 سبتمبر 2001 العدد 1082 ص24.

27- مصطفى هميسي: الهجوم على أمريكا رموز زعيم العالم تنفجر... !!ملاحظات و تساؤلات، جريدة الشروق اليومي 2001/09/15 العدد 262 ص04

28- نفس المرجع و نفس الصفحة

29- نفسه

30- نفسه